عرض كتاب

إدارة المعرفة في المفهوم الإسلامي
نحو نظام معرفي مبني على الحقيقة

تأليف: د. بشار الحاج أحمد

الناشر: المنظمة العربية للتنمية الإدارية
جامعة الدول العربية (القاهرة، 2019)

في ظل هذه التطورات الكبرى في مجال المعرفة والاتصالات، وانتقالنا من مجتمع الصناعة إلى مجتمع المعلومات، أخذ يتشكل لدى العالم العديد من المفاهيم التي تندرج تحت عنوان أطلق عليه «الوعي الفكري»، الذي يلقي الضوء على ضرورة انتشار مفاهيم مجتمع المعلومات والتكنولوجيا، التي أصبحت فيها المعلوماتُ المورِدَ الأساسي، وأصبحت المؤسسات تعطي المعلومة اهتمامًا كبيرًا.

وقد كانت الموارد المادية والكوادر البشرية أهم الموارد التي تحتاجها المنظمات في أعمالها، إلى أن ظهر دور المعلومات وبرزت أهميته، حيث تلعب المعلومات دورًا أساسيًا في المنظمات الحكومية المعاصرة، فهي أداة من أدوات الإدارة الحديثة، وهي ضرورية لإجراء الاتصال والتنسيق والرقابة. كما إن المشاركة في المعلومات عامل مهم لاتخاذ القرارات، حيث أصبحت المعلومات ونظمها ضرورية للقيام بالعمليات والأنشطة المختلفة داخل تلك المؤسسات الإدارية.

ويُطلق على هذا العالم الجديد في هذا العصر المتطور اسم «عالم المعرفة»، أو ما يسمى باقتصاد المعرفة «Knowledge Economy»، حيث إن الابتكارات التقانية تسدّ الثغرات الموجودة بين المؤسسات والمنظمات المتنافسة، لنجد أنه أصبح هناك توجه عام في مجال الصناعة، بحيث يتم الأخذ بعين الاعتبار المعرفة التراكمية الموجودة لدى بعض الموظفين، والنظر إليها على أنها عامل أساسي ورئيس في إنتاج منتجات وسلع ابتكاريه وتنافسية. وقد تم توضيح هذه الأفكار في دراسة «زاك» (Zack, 1999: 125-146) التي أكَّدت أن المؤسسات تتجه الآن إلى أن تقتنع أن المعرفة هي المصدر الاستراتيجي والقيم لديها. وكذلك الأمر بالنسبة لدراسة «نوناكا» (Nonaka, 1998) عندما أكَّدت أن المصدر الوحيد والأخير للمزايا التنافسية داخل أي مؤسسة هو المعرفة. وقد تحول هذا المعنى في السنوات الأخيرة من إدارة رأس المال الفكري والابتكار داخل المؤسسة؛ ليعرف بما يسمى «إدارة المعرفة» «Knowledge Management» (KM).

وعلى الجانب الآخر وفي ظل التخلف الذي تعيشهُ الأمةُ العربية والإسلامية، وفي ظلِ التطاول على شخصيةِ الرسول بين الفينةِ والأخرى، كان لابد من مراجعةِ التاريخ الإسلامي بشكلٍ مختلفٍ عمّا تمّ تقديمه وتصويره للمسلمين. هذا الشكل الذي ولَّد الفُرقةَ بين أفراد الأمة، وجعلها تنظر إلى الرسولِ على أنه رمزٌيدَّعي كلٌ حُبَّه واتباعه، دون أن يكون هناك فهمٌ للدور الحقيقي الذي

بُعثَ الرسول من أجله، بينما فَهِمَهُ الصحابةُ بشكلهِ الصحيح والعميق، فجعل منهم عباقرةَ الدنيا وسادةَ الأزمنة.

من جهة أخرى، وكما هو واضح للجميع، استطاع الغرب الوصول إلى ما هو عليه من النهضةَ الحضارية والمعرفية والتكنولوجيَّة، بعد أن انهالوا على الحضارةِ العربية الإسلامية... وقد عبَّررئيس الوزراء الماليزي السابق الدكتور مهاتير محمد عن رأيه في هذا الأمرفي إحدى مدوناتهِ بقوله: إن الفتوى التي صدرت في القرن الخامس عشر من علماء مسلمين في ذلك الوقت، والتي تقول بأن المقصود من كلمة «اقرأ» في القرآن الكريم هوقراءة وتعلم الدين فقط دون سواه، جعلت العلماء المسلمين - منذ ذلك الحين - ينأونَ بأنفسهم عن العلوم الطبية والفيزيائية والرياضية، وتوقفوا عن دراساتهم لهذهِ الفروع والمجالات، وأعلنوا تفرغهم للدينِ فقط، في الوقت الذي لاحظ فيه الأوروبيون عظمةَ هذه الحضارة الإسلامية، وقاموا باكتساب المعارف الموجودة في مختلفِ المجالات والعلوم، وعمدوا إلى ترجمة أعمال العلماء المسلمين إلى اللاتينية واللغات الأوروبية الأخرى؛ وهوما أدى إلى وصول المسلمين إلى ما هم عليه الآن، ووصول أهل الغرب إلى تلك المكانة العلمية الرفيعة التي وصلوا إليها أيضًا.

من ناحيةٍ أخرى نجد أن هناك العديد من الإشارات والدلالات العلمية والمعرفية الموجودة في القرآنِ والسنةِ النبوية المشرَّفة دون أن نُعيرها أدنى اهتمام، والتي شكلت بحد ذاتها إطارًا علميًا للعديد من المعارف والعلوم والابتكارات، التي يتم استخدامها هذه الأيام. من أجل ذلك، يجد الكاتب أنه لا بد من البحث والتمحيص عن عظمةِ هذه الحضارة والنظر إليها بشكل مختلف عن الطريقة التقليدية التي جعلتنا نغفلُ عن كثيرٍ من الإبداعاتِ والمعارف والابتكارات، التي كان من الأجدرِ أن نكونَ نحنُ السباقينَ إلى اكتشافها وتطبيقها في شتى مناحي الحياة.

لذلك يحاول هذا الكتاب الخوض في أحد الأبحاث العلمية الحديثة، وهومفهوم «إدارة المعرفة» Knowledge Management الذي تمت الإشارة إليه. لكن، وعلى الرغم من حداثة هذا العلم غير أنه سيتم التطرق إليه من منظور القرآن والسنة النبوية؛ لنُثبت ما إن كان هذا العلم قد بدأ فعلاًلدى المسلمين منذ أن أنزل الله «اقرأ» في كتابه العزيز، بينما ينتظر المسلمون الغربَ حتى يأتي ليُظهرعظمة وإبداع هذا الدين من خلال إبداعاته هووابتكاراته.

من أجل ذلك نجد أنفسنا ملزمين بأن ننظر إلى المعارف الموجودة في القرآن والسنة النبوية بطريقة مختلفة نوعًا ما، وبعيدًا عن الطريقة التقليدية التي تربى عليها كثيرٌمنا، وبشكل يتلاءم مع مجتمع المعرفة والاقتصاد المعرفي الذي نعيش فيه، لنرى صحةَ ما إذا كان المجتمع الذي بناه الرسول لم يكن إلا أحد أشكال المجتمعات المعرفية منذ تأسيسه للدولة الإسلامية، وهوما يبرّر عدم اهتمامه منذ بدء الدعوة بعدد الذين يسلمون، بقدر اهتمامه باختيارهؤلاء الأشخاص، وبالخلفية المعرفية والعملية التي يمتلكها هؤلاء؟!!

في ضوء ذلك فإنَّ هذا الكتاب يحاول - وبشكل أساسي - الإجابة عن الأسئلة التالية:

أ- هل صحيحٌ أن العرب المسلمين كان لديهم منظومتهم المعرفية، وأن الرسول قد أسس لهذه المنظومة في حياته عن طريقه هو مباشرة، وبعد موته من خلال ما تركه من القرآن والسنة النبوية؟

ب- ما هي هذه المنظومة المعرفية، وما هي الأطروالمفاهيم التي تتبلور وتتموضع ضمن هذه المنظومة، وما هي الوسائل التي تمكِّننا من استكشاف هذه المنظومة بالشكل الذي نتمكن فيه من تحقيق أكبر قدر من الفائدة؟

ج- ما هو الجديد الذي تستطيع أن تضيفه هذه المنظومة إلى النهضة العلمية والمعرفية الموجودة وعلى مستقبل التقانات والمعارف التي وصل إليها الغرب حتى هذه الأيام؟

من أجل ذلك قام هذا الكتاب بتسليط الضوء على مفهوم إدارة المعرفة وعلى منظومة المعارف التي وصل إليها العالم في العصر الحديث، والتي ساعدته على اكتشاف المعارف والأفكارونشرها، وتحويلها إلى الابتكارات والتقانات الحديثة التي تمت الاستفادة منها في شتى مجالات الحياة.

في الجانب الآخر، يُعطي هذا الكتاب رؤية جديدة وبطريقةٍ علمية وتحليلية للمواقف والأفعال الموجودة في القرآن والسيرة النبوية، والتي شكلت النواةَ الأولى لانطلاقِ وانبثاق العديد من العلومِ والابتكارات التي ملأت وجهَ الأرض، إضافةً إلى وجود العديد من الإشارات العلمية الموجودة، والتي لم تجد طريقها إلى النور إلى يومنا هذا.

علاوةً على ذلك، يقوم الكاتب بالتحقيق في المنظومة المعرفية الإسلامية التي تم اكتشافها من قبله، وفي كيفية استخدام هذه المنظومة ومدى قابليتها للتطبيق في هذه الأيام في ظل ما نراه أمامنا من ثورة معرفية، والبحث في القيمة التي تستطيع هذه المنظومة إضافتها إلى مستقبل هذه المعارف، واستكشاف ما هو جديد فيها.

وأخيرًا، هدفَ هذا الكتاب إلى تكوين نظرة استشرافية علمية مختلفة لدى الشارع العربي والإسلامي في تعاطيهم مع القرآن والسنة النبوية المشرفة.